صورة الإنسان العماني في الإعلام

د. كاملة الوليد الهنائي

رئيسة برنامج الفنون المسرحية بكلية المجتمع في قطر

"ولا أدعي هنا أننا مجتمع مثالي، لكن علينا الاهتمام بالإعلام وقطاع الدراما المحلية ودراسة وتحليل الصور التي نقدمها عنا"

في ظل الفضاءات الإعلامية المفتوحة، وتعدد وسائل الإعلام وأهميتها في حياتنا اليومية، نرى من وقت لآخر بعض الصور أو الإعلانات أو المقاطع المتداولة في التلفزيون والإذاعة وفضاءات الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي وغيرها من الوسائل، نرى صوراً متعددة تُقدَم للإنسان العُماني، سواء كان رجلاً أم امرأة، وهي صور متعددة ايجابية كانت أم سلبية.

انتشر مؤخراً مقطع إعلاني في الانستغرام حول افتتاح فرع جديد لمحل تجاري للتسوق، والمقطع يظهر فيه أب عُماني يظهر بملابس النوم وخلفه يظهر منزله البسيط المغطى بصفائح، وأطفاله يسألونه عن الهدايا التي وعدهم أن يشتريها لهم، فقال لهم: وعدتكم «عندما يشيب الغراب»، فأروه في الهاتف صورة غراب أبيض الريش، مما جعل الأب يُحرج أمام أطفاله، فلا مهرب من تنفيذ ما وعدهم به، وفجأة يتلقى الأب جريدة بها الإعلان عن افتتاح فرع جديد للمحل التجاري، وأنه «صرخة في وجه الغلاء» ، فينطلق الأب مسرعاً مع أطفاله لشراء الهدايا لهم. ولكن اللافت للنظر في هذا المقطع الإعلاني ليس صورة الأب أو حتى صورة المنزل البسيط الذي يظهر في الفيديو، فهذا واقع .. شئنا أم أبينا، وفي كل دول العالم ستجد الغني والفقير- ولكن ما أثار حفيظتي هي الصورة التي قُدم بها الإنسان العُماني في هذا المقطع الإعلاني، حيث ظهر وهو يتسوق ب «البيجاما» ويظهر وهو يتسوق ب «نزق» ويرش كل العطور الموجودة على ملابسه ويجربها، ويجري ويلهث بين ممرات المحل التجاري الكبير وكأنه مندهش ويرى محلاً تجارياً لأول مرة في حياته، حتى الإنسان العُماني الفقير لا يتسوق بهذه الطريقة، والغالبية العظمى يذهبون للتسوق بالملابس العُمانية التقليدية الأنيقة، ويتحلون بخلق ويتصرفون برزانة، والفقر لم يزدهم إلا عزة وكرامة، فلماذا نصر أن نُقدم هذه الصورة السلبية عنا للآخرين؟!

وكنموذج آخر، يُقدَم فاصل إعلاني في التلفزيون العُماني لإنسان عُماني يظهر في الصحراء وهو يحمل صقراً بيده، وقلت من الجميل أننا نعتز بأصالتنا وبيئتنا البدوية الصحراوية، ولكن ما جعلني أستاء هو ظهور هذا الإنسان العُماني وعلى جبينه عرق كثيف يتصبب، مما قد يثير شعوراً بالاشمئزاز لدى البعض، وفي نفسها الفترة الذي يظهر فيها هذا الفاصل التلفزيوني على شاشة تلفزيون سلطنة عُمان، يظهر في قناة تلفزيونية خليجية نفس الفاصل تقريباً مع بعض الاختلافات البسيطة، حيث يظهر مواطن وهو يرتدي بدلة/ بزة عسكرية أنيقة جداً ويحمل صقراً بيده دون أن يظهر عرق يتصبب من على جبينه. قد يقول البعض إنه عرق الإنسان الكادح... ربما !! لكن اعتدنا أن الصور المقدمة في الإعلام تُظهر غالباً القبيح جميلاً، والكاميرا تلتقط التفاصيل الجميلة، فحتى الأحياء الفقيرة على سبيل المثال تظهر في الإعلانات التلفزيونية والدراما بصورة جميلة.

كذلك عند مشاهدتنا لبعض المسلسلات العُمانية وتحليلنا للصور المختلفة التي يُقدم بها الإنسان العُماني رجلاً كان أم امرأة، سنجد بعض الصور – ولا أقول كلها – قدمت صوراً سطحية وساذجة للإنسان العُماني، وحتى إظهار بعض الممثلين والممثلات وهم يتحدثون بلهجة مغرقة في المحلية وبطريقة نمطية، مما جعلنا مثاراً للسخرية لدى البعض. وأنا أقول هنا وبكل وضوح نحن نعتز بلهجتنا العُمانية المحلية أينما ذهبنا، ولن نتخلى عنها، ولكن عندما نُصر على المبالغة في الآداء و تقديم هذه الصور عنا بطريقة كاريكاتورية ونمطية، هنا علينا أن ننتبه.

في الجانب الآخر نرى كيف تُقدم الدراما التركية والإعلام التركي صورة الإنسان التركي، فكما نعلم جميعاً اجتاحت المسلسلات التركية القنوات التلفزيونية العربية والعالمية، وحين تابعت مسلسل (حريم السلطان) وغيرها من المسلسلات التركية حاولت الوقوف على الصورة التي يريد تصديرها الأتراك عن الإنسان التركي لدى المتلقي الآخر، ففي مسلسل (حريم السلطان) على سبيل المثال، رأينا هيبة السلطان سليمان ووزرائه وجنوده حين يواجهون الأوروبيين وسفرائهم ، وأرى في هذا إسقاط تاريخي على الواقع الراهن، ففي الوقت الحاضر الذي تُماطل فيه الدول الأوروبية الجمهورية التركية للسماح لها بالانضمام لعضوية الاتحاد الأوروبي، قدمت تركيا هذه المسلسل الذي تُرجم لأكثر من لغة وقُدم في دول عديدة حول العالم للتذكير بالأمجاد العثمانية وبانتصاراتها وعظمتها، وأظهرت سفراء الدول الأوروبية وهم يركعون أمام السلطان سليمان ووزرائه ويطلبون رضاه وصفحه. بل حتى الجواري والخدم في هذا المسلسل ظهروا بكامل أناقتهم لإظهار الفخامة وملامح القوة في المجتمع التركي قديماً. وفي مسلسلات تركية واقعية أخرى تُقدم (صورة سائق سيارة الأجرة أو التاكسي) وهو يرتدي بدلة أنيقة ويتحدث بلباقة ، وصور أخرى إيجابية لأناس بسطاء، وإن كانت قد طغت في أغلب المسلسلات التركية صور الأغنياء ورجال الأعمال والقصور والسيارات الفخمة. إذاً هذه هي صورة الإنسان التركي التي تريد أن تُصدرها تركيا للآخر حول العالم، علماً أن تركيا كأي دولة فيها سكان يعانون من الفقر.

الصور التي قُدم بها الإنسان العُماني دعتني إلى التفكير في الصورة التي نقدمها في وسائل الإعلام المختلفة والدراما التلفزيونية والإذاعية عن الإنسان والمواطن العُماني، وحول الصورة التي نريد تصديرها للمتلقي الآخر عنا، وهل هي صور مدروسة كما تفعل الكثير من الدول المتقدمة المدركة لخطورة وسائل الإعلام وأثرها في رسم الصورة الذهنية عن الآخر. فأي صور نريد أن نصدرها للإنسان العُماني للمتلقي الآخر في الخليج العربي والعالم؟ هل هناك دراسات متخصصة واستراتيجيات مدروسة، أم أن المسألة عشوائية كيفما اتفق؟

هناك عدد من الباحثين والكتّاب الذين تحدثوا عن الصور المختلفة التي تُقدمها وسائل الإعلام والدراما للإنسان العربي بشكل عام، ولكن أردت فقط التأكيد على أهمية الاهتمام أكثر بالصور التي نقدمها عن الإنسان والمواطن العُماني في وسائل الإعلام المختلفة وفي الدراما التي نقدمها ، لما لهذه الصور من أثر كبير لدى المتلقي الآخر في رسم صورة ذهنية محددة ونمطية عن الإنسان العُماني، فمن الصعب التحكم في وسائل الإعلام الأخرى في الدول المختلفة، وأن نفرض عليهم الصورة التي يجب أن يقدمونا فيها، ولا أدعي هنا أننا مجتمع مثالي، لكن علينا الاهتمام بالإعلام وقطاع الدراما المحلية ودراسة وتحليل الصور التي نقدمها عنا، وعمل دراسة ووضع استراتيجية لتحسين هذه الصور بما يليق ويتناسب مع قيمة الإنسان العُماني الأصيل وفكره وقيمه وتاريخه العريق.